بين الطاعة والثواب وبين المعصية والعقاب انما جعل الطاعة والمعصية امارة
لصاحبها انه يدخل الجنة او النار بالارادة الازلية وعلى قود هذا يسقط الموازنة وهي كما
ترى اطلاقات بعضها فوق بعض ولقد آتينا ابرهيم رشده من قبل وكنا به عالمين كل هي رشده
وكنا به عالمين يدل على ان المكلف مرعي بحسب ما احاط به العلم الرباني من تفصيل ما يرجع
عليه كما قررناه في قوله تعالى لنعلم حتى يحمل رسالاته اذ اي آتينا ابرهيم رشده الذي يليق
بمقامه الذي يقول ابيه وعيّنا له ما علمنا من حسن تفصيل ما يرجع عليه من قبلنا وبه الظهر
لكم معنى حديث اعملوا فكل ميسر لما خلق اي ميسر لما علم الله من كيفية تفصيل ما يرجع عليه
الخير او الشر افالنبي ميسر لما يناسب النبوة وعليه واصطنعتك لنفسي وفرعون ميسر
لكفره وعتوه ونحو ذلك فالتيسير تابع لاحوال المكلف الظاهر كما سماه في تفسير القدر
ووفق هذا التيسير شامل لما قبل التكليف ووقوع الطاعة والمعصية وبعد ذلك والله اعلم
قوله تعالى قالوا وجدنا آباءنا لها عابدين في الكشاف ما اقبح التقليد والقول المتقبل
بغير برهان وما اعظم كيد الشيطان للمقلدين حين استدرجهم الى ان قلدوا آباءهم
في عبادة التماثيل وعفروا لها جباههم وهم معتقدون انهم على شيء جادون في نصرة
مذهبهم ومجادلون لاهل الحق عن باطلهم وكفى اهل التقليد سبة ان عبدة الاصنام منهم
اقول نعم ما قلت ولا بعد ان يعاد على انا نطلب من ربنا من سلم من هذا الداء
بعد اخراج الانبياء وبادر حلا على غيرهم بالنسبة الى سائر الخليقة والدليل على ما قلنا
الا الناس تبع للمنشأ والتربية مسلمهم وكافرهم والخارج من ذلك قليل يستدرك حكمهم والرهبة
في سلامتهم فالقسم الاول جمهور الخلائق وهم يعاينون تابع لابيه في الباطل وهذا
مقلد بلا شك وقد يحتمل ان شخصا من الالوف اصابه ما اصاب اباه من الشبه ولم يقلد
ولا يكاد ليس من ذلك نسي القسم الثاني تابع لابيه في الحق كالمسلمين في جملة الاسلام
واذا حققتهم وجدتهم مقلدين ويشذ الناظر ومع نظره فلا اتباع الا ما نصب في
انقياده للهوى لذا الاعتقاد للحق بما خالف لما قسم شعبة الا انا تقليد بلا شك ولكن
لله بحكمة يجع حكمه ما شاء من الحاملين القسم الثالث الذين خالفوا الاباء ورجعوا
الى الحق وانما يكون ذلك في حق الانبياء عليهم الصلاة والسلام وبين رجال وعزة واذا
حقق التابعين للانبياء لم يخلهم من التقليد بل هو الظاهر من جمهورهم في اول الامر
وان خلص من خلص بعد الاسلام الا القول سعد بن معاذ رضي الله عنه لقومه كلام رجالكم
ونسائكم علي حرام حتى تشهدوا ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله فدخلوا في
الاسلام جميعا فهل نظروا في تلك الساعة جميعا ام قلدوا رئيسهم وكذلك سائر القبائل كانوا

يرسلون وافدهم ويرضون بما رضي لهم فاسلم اكثر الناس على ذلك وتوقف كثير من
العباد يقولون ان على محمد قريشا بتعناه فلما كان الفتح اسلموا ونزل اذا جاء نصر الله
والفتح ورأيت الناس يدخلون في دين الله افواجا ومن اعجب الصور فيما شرحنا
ان سحرة فرعون كانوا من بني اسرائيل اكرههم على تعلم السحر كما قالوا وما اكرهتنا عليه
من السحر وانما خصهم لانهم اهل الكتاب يقدرون على التعلم بخلاف القبط وكانوا قد
توارثوا البشارة بنبي منهم يرفع الله شأنهم به ويرجو خلاصهم على يده من عبودية فرعون
وقومه القبط فحين تبين لهم ان موسى على الحق اجتمع لهم الزهد والعسل ظهور
الحق وكونه فيهم وكذلك كثير من الافراد ونحو ذلك كما روي ان حمزة سمع ان زيد بنت
رسول الله صلى الله عليه وسلم والذي خطبت وكانت تنزل له من الجمال وكان عم كذلك
فسقط في يده ان يكون سبق اليها قال وكان في مجلس من ابي بكر فذهب اليه
فراى منه فرهان فقال يا عم انت رجل عاقل ما هذه الحجارة التي تعبد قومك فاسلم
وتزوج برقيه ومن هذا القبيل شيء كثير لو تتبع جاء مصنفا والله الموفق قوله تعالى
قال بل فعله كبيرهم هذا مثل هذا التركيب مبتذل اليوم يعرفه كل احد اذا سأل انسان
آخر عن امر قد علم انه هو او من فعله او المراد او نحو ذلك ولسان حال السائل ابرح
او انسان آخر لذلك لامر اجابه المسؤول بانه لك وان فعل هذا وفلان ويكون الشيء
لا يصلح لغيره الا المخصوص فيسنده المجيب الى ابعد الناس عنه استهزاء بالسائل
وتعقيلا له وقد شرح هذا المعنى في الكشاف ثم ذكر وجها آخر وهو ان اسناده الى
الحامل لانه غاظ ابرهيم عليه الصلاة والسلام فحمله على تكسيرها الصغار وما كان
الكشاف جديرا ان يذكر هذا الوجه وهلا تركه او تركها لو كان كذلك ذكر
وجها ثانيا هو متحد معنى بالوجه الاول قوله تعالى فرجعوا الى انفسهم فقالوا انكم
انتم الظالمون الظاهر ان مرادهم ان ظلمهم لعدم حياطته الهتهم لا انه اقرار
بالحق ثم نكسوا على رؤسهم اي ظهر على ابراهيم عليه الصلاة والسلام لهم فاصابهم
الخزي والهوان كانما نعس وانتكس وهي عبارة عن غاية المذلة والخسران وهي
مبتذل له اليوم انت وفي خلال هذا الهوان الذي اصابهم قالوا لقد علمت ما هؤلاء ينطقون
يريد حين سألهم هل يسمعونكم اذ تدعون نافرا بانهم لا يرجعون الذكر واعظاهم
اشياع الآباء فلذا اجابوا بما ذكر من مستنبطين بجهلهم وعلم كل عاقل اي انت من جملة
العقلاء فتحكم بعلمك بعدم استطاعتهم النطق وانما امرهم باستنطاقهم ليجيبوه